Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 9, No. 2, (Issue 18) Spring & Summer 2026: 1-16
DOI: 10.30473/anb.2026.78321.1497

ORIGINAL ARTICLE

Reconstructing Islamic Normative Ethics from Nahj al-Balāghah through a Structured Interrogative Method: Toward a Model of Divine Teleological Deontology

Faezeh Soltani[1*], Ali Haji Jafari[2]

1. Graduate of B.Sc. in Industrial Economics from Yazd University, and Graduate of Level 3 in Islamic Education from Al-Zahra University (PBUH), Qom, Iran.
2. PhD in Philosophy of Law from Baqer Al-Olum University (PBUH), Qom, and Graduate of Level 4 from Qom Seminary, Iran.

Correspondence:
Faezeh Soltani
Email: Soltani9468@gmail.com

Received: 01 Jul 2026
Accepted: 14 Nov 2026

How to cite
Soltani, F. & Haji Jafari, A. (2026) Reconstructing Islamic Normative Ethics from Nahj al-Balāghah through a Structured Interrogative Method: Toward a Model of Divine Teleological Deontology. *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*, 9(2), 1-16. (DOI: 10.30473/anb.2026.78321.1497)

ABSTRACT

Islam, grounded in the Qur'an and the Prophetic Sunnah, offers a comprehensive framework for normative ethics. Among the major theories of Western normative ethics, deontology and consequentialist teleology have received the greatest attention in comparative studies because of their apparent similarities to Islamic ethics. The present study investigates whether the ethical system derived from Nahj al-Balāghah can be adequately explained within either framework. It aims to identify the governing model of normative ethics in the teachings of Imam Ali (peace be upon him) by employing a structured interrogative method that formulates the fundamental questions of moral philosophy and systematically derives their answers from the text, together with directed qualitative content analysis. The findings indicate that fundamental moral duties, including truthfulness, justice, and fidelity to covenants, possess intrinsic moral value. However, their ultimate purpose and motivation are attaining nearness to God, seeking Divine pleasure, and achieving eternal felicity rather than maximizing worldly pleasure or material utility. Moral duties therefore function as means toward a transcendent divine end. In cases of conflict between duties, priority is determined according to the Islamic principle of al-ahamm wa al-muhimm (the more important over the less important), measured by proximity to Divine pleasure. Accordingly, this study proposes Divine Teleological Rule-Based Deontology as a distinctive model that differs from both Kantian absolute deontology and Benthamite utilitarian teleology.

KEYWORDS

Nahj al-Balāghah, Normative Ethics, Deontology, Divine Teleology, Structured Interrogative Method, Nearness to God.

Copyright © 2026 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة التاسع، العدد الثاني (المتوالي ١٨) ربيع و صيف، ١٤٠٥ش/ ١٤٤٨ق. (١-١٦)

DOI: 10.30473/anb.2026.78321.1497

«مقاله پژوهشی»

إعادة قراءة نظام الأخلاق المعيارية في الإسلام بمنهج الاستنطاق المنظَّم لنهج‌البلاغة: تقديم نموذج للواجبية الغائية الإلهية

فائزة سلطاني[1*]، علي حاجي جعفري[2]

١. خريجة بكالوريوس الاقتصاد الصناعي من جامعة يزد، وخريجة المستوى الثالث في التربية الإسلامية من جامعة الزهراء (سلام الله عليها) بقم، ايران.

٢. دكتوراه في فلسفة القانون من جامعة باقر العلوم (عليه السلام) بقم، وخريج المستوى الرابع من الحوزة العلمية بقم، ايران.

المؤلف المسؤول:
فائزة سلطاني

بريد االكتروني:
Soltani9468@gmail.com

تاريخ القبول: ١٤٤٨/٠١/١٦
تاريخ الاستلام: ١٤٤٨/٠٦/٠٤

إرسال الاستشهاد إلى:
سلطاني، فائزة و حاجي جعفري، علي. (١٤٤٨). إعادة قراءة نظام الأخلاق المعيارية في الإسلام بمنهج الاستنطاق المنظَّم لنهج‌البلاغة: تقديم نموذج للواجبية الغائية الإلهية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٩(٢)، ١-١٦.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78321.1497)

المخلص

يقدّم الإسلام، بالاستناد إلى القرآن الكريم والسنة، نظامًا شاملًا ومتسقًا في مجال الأخلاق المعيارية. ومن بين نظريات الأخلاق المعيارية في الفلسفة الغربية، تُعدّ نظريتا الواجبية والنزعة الغائية النفعية أكثر النظريات تشابهًا، على نحو ظاهري، مع الأخلاق الإسلامية، وقد حظيتا باهتمام في الدراسات المقارنة. غير أنّ السؤال الأساسي يتمثل في ما إذا كان بالإمكان إدراج النظام الأخلاقي المستنبط من نهج‌البلاغة في أيٍّ من هذين الإطارين الاصطلاحيين. وقد أُنجزت هذه الدراسة بهدف الكشف عن النموذج الحاكم للأخلاق المعيارية في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام، وذلك باستخدام منهج الاستنطاق المنهجي (تصميم الأسئلة الأساسية في فلسفة الأخلاق والبحث عن إجاباتها في النص) وتحليل المحتوى النوعي الموجَّه. وتُظهر النتائج أنّ الواجبات الأخلاقية القَبلية في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة، مثل الصدق والعدل والوفاء بالعهد، تتمتع بقيمة وحرمة ذاتيتين، غير أنّ العلة الغائية والدافع النهائي لأداء جميع هذه الواجبات هو «القرب إلى الله، ورضا الحق، والسعادة الأخروية»، لا اللذة الدنيوية أو تعظيم المنفعة المادية. ومن ثمّ، فإنّ الواجبات في هذا النظام تمثّل طريقًا (وسيلةً) إلى الغاية الإلهية، وعند التزاحم بين واجبين، تجري قاعدة «الأهم والمهم» وفق معيار «الأقرب إلى رضا الله». وهذا النموذج، الذي سُمّي «الواجبية القاعدية الغائية الإلهية»، لا يختزل في الواجبية الكانطية المطلقة، كما لا يندرج في الغائية النفعية البنتامية. فالإنسان، وفق هذا التصور، كائن هادف، يقترب من غايته الحقيقية من خلال أداء الواجبات الأخلاقية في إطار الشريعة.

الكلمات الدليلية:
نهج‌البلاغة، الأخلاق المعيارية، الواجبية، الغائية الإلهية، الاستنطاق المنهجي، القرب إلى الله.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٨. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.

Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

المقدّمة

علم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الصفات والملكات الكامنة في النفس الإنسانية، والسلوكيات والأقوال والأفكار الناشئة عن هذه الصفات، وكذلك الآليات التي تُزكّى بها النفس من الرذائل وتُحلّى بالفضائل، بغية نيل السعادة الأبدية (مظاهري، ١٣٨٣: ١/ ٣٠). ومن جهة أخرى، تُعَدّ فلسفة الأخلاق علمًا من الدرجة الثانية يتولى دراسة المبادئ التصورية والتصديقية للقضايا الأخلاقية دراسةً تحليليةً عقليةً؛ فهو علم يبحث في ماهية المفاهيم الأخلاقية، وعلاقتها بالواقع النفس الأمري، والتسويغ العقلاني للأحكام الأخلاقية (مصباح اليزدي، ١٣٨٢ش: ٢٢). وقد ظهرت، على امتداد التاريخ، مدارس واتجاهات متنوعة في مجال فلسفة الأخلاق، طرحها مفكرون وفلاسفة من الشرق والغرب؛ إذ سعى كثير من الفلاسفة، منذ عصر اليونان القديمة حتى العصر الحاضر، إلى تقديم تصورات أخلاقية خاصة تنسجم مع مبانيهم الفكرية والفلسفية.

الأخلاق المعيارية هي اتجاه في الأخلاق يتولى تحديد وتفسير أكثر الأحكام الأخلاقية أساسية بشأن الصواب والخطأ (هولمز، ١٣٨٥ش: ٣٩ و٤١-٤٢)، لكي يعرف الفرد، من خلال ذلك، ما الذي يكون صحيحًا أخلاقيًا بالنسبة إليه، وكيف ينبغي له أن يتصرف عند حدوث التعارضات الأخلاقية (مصباح اليزدي، ١٣٨٤ش: ٢٤). وتقدّم فلسفة الأخلاق، في مجال الأخلاق المعيارية، بصورة عامة نظامين أخلاقيين هما الواجبية والغائية النفعية. وإلى جانب مختلف النظم الأخلاقية وتعاليمها، يدّعي الإسلام، في ضوء قوله: «إني بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، تقديم نظام أخلاقي؛ وهو نظام يستمد مادة استنطاقه من آيات القرآن وروايات المعصومين : ومن بين اتجاهات الأخلاق المعيارية، حظيت نظريتا الواجبية والغائية النفعية بأكبر قدر من الاهتمام في الدراسات المقارنة مع الأخلاق الإسلامية (سعيدي وسرلك، ١٣٩٩ش؛ سعيدي، علم‌الهدى وقاسم‌بور، ١٣٩٧ش؛ سبحاني‌نيا، ١٤٠٢ش). غير أنّ هذه الدراسة تنطلق من دعوى مفادها أنّ أيًّا من هاتين النظريتين، بمفردها، لا يمكنه أن يفسّر النظام الأخلاقي للإسلام تفسيرًا كاملًا.

ويرى الإمام علي(ع) أنّ الأخلاقيات الحسنة والجديرة هي وحدها ما ينبغي التمسك به والتعصب له وعدم العدول عنه (الخطبة: ١٩١). وبالنظر إلى أنّ التعاليم العلوية ودراسة السلوك الأخلاقي العلوي تمثل التجلي التام للتعاليم القرآنية والنبوية، فإن الرجوع إليها واستخراج هذا الأخلاق وتنظيمه وتحليله يمكن أن يكون مصداقًا للتعاليم القرآنية، وكاشفًا عن المدرسة الأخلاقية النبوية. ومن ثمّ، ولتشخيص النظام الأخلاقي للإسلام وبيان نسبته إلى النظامين الأخلاقيين المذكورين، لا بد من دراسة ماهية هاتين النظريتين في مقاطع نهج‌البلاغة.

الدراسات السابقة

تتمتع الدراسات المتعلقة بنسبة الأخلاق الإسلامية إلى النظريتين الواجبية والغائية بسابقة بحثية غنية نسبيًا. ففي مجال مباني فلسفة الأخلاق، تناول مصباح اليزدي (١٣٨٤ش)، بمنهج عقلي-كلامي، نقد هذه المدارس ودراستها، وبيّن مباني الأخلاق الإسلامية على أساس الحسن والقبح العقليين وواقعية الأحكام الشرعية. وفي المجال المقارن، بيّن حاجي‌جعفري (١٣٩٦ش) أنّ النظام الأخلاقي في القرآن يمثّل تركيبًا من كلٍّ من الاتجاهين الواجبي والغائي، مع اختلاف يتمثل في أنّ الغاية النهائية فيه تُعرَّف بـ«السعادة الأخروية والرضا الإلهي». وقد عمّم في بحثه اللاحق (١٤٠٤ش) هذا الإطار على الصحيفة السجادية، واستخرج «نموذج النظام الطولي للتكليف في مسار القرب»؛ وهو نموذج تُعرَّف فيه العلاقة بين التكليف والغاية على نحو طولي، ولا يكون بينهما تعارض ذاتي.

وفي الدراسات المرتبطة بنهج‌البلاغة، أشار سعيدي وسرلك (١٣٩٩ش) إلى وجود قضايا من قبيل الواجبية القاعدية والنفعية القاعدية في كلام أميرالمؤمنين(ع). وعدّ سعيدى وعلم‌الهدى وقاسم‌بور (١٣٩٧ش) مؤشراتٍ مثل القاعدة الذهبية، والوفاء بالعهد، والعدل، علاماتٍ على الواجبية في نهج‌البلاغة. كما ذهب سبحاني‌نيا (١٤٠٢ش)، في دراسة مقارنة، إلى أنّ الغاية النهائية في المدرسة الأخلاقية للإمام(ع) هي «التوحيد الحضوري والانقطاع إلى الله»، وميّزها عن النظريات الغربية الشائعة. وقد قدّم نديمي

ومسعودي (١٤٠١ش) النظام الأخلاقي للإسلام بوصفه نظامًا نتائجيًا قائمًا على «القرب الإلهي»، في حين أبرز هاشمي الكلپايكاني (١٣٨٨ش)، من خلال التمييز بين «الغاية الكمالية» (رضى الله) و«الغاية التبعية» (الآثار الاجتماعية)، دور النتائج في التقويم الأخلاقي.

وعلى الرغم من هذه الدراسات، لا تزال هناك عدّة ثغرات أساسية:

أولًا، إنّ معظم الدراسات المقارنة التي أُجريت حول نهج‌البلاغة عمدت، من دون تصميم إطار منهجي دقيق لـ«الاستنطاق» (تصميم الأسئلة الأساسية والبحث عنها في النص)، إلى انتقاء الاقتباسات المؤيدة لافتراضاتها المسبقة. وثانيًا، لم يُراعَ في هذه الدراسات على نحو صحيح التمييز بين «الغائية الوجودية» (هادفية الخلق) و«الغائية في الأخلاق المعيارية» (ارتباط صواب الفعل بنتائجه). وثالثًا، لم تحظَ القاعدة الفقهية–الأخلاقية «الأهم والمهم» بالاهتمام الكافي بوصفها حلقة الوصل بين الواجبية والغائية في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة.

وجه تميّز البحث الحاضر: يسعى هذا البحث إلى استخراج نموذج «الواجبية القاعدية الغائية الإلهية» مباشرةً من نهج‌البلاغة، من خلال منهج الاستنطاق المنظّم (الذي يشتمل على أربعة أسئلة تُطرح على النص، وعلى ترميز النتائج)، ومع التمييز الدقيق بين الغائية الوجودية والغائية في الأخلاق المعيارية. وعلى خلاف بحث حاجي‌جعفري (١٤٠٤ش) الذي ركّز على الصحيفة السجادية، يتناول هذا البحث نهج‌البلاغة. كما أنّه، خلافًا للدراسات السابقة التي اكتفت في الغالب بتحديد وجود الاتجاهين معًا، يركّز هنا بصورة أساسية على بيان آلية «التزاحم وقاعدة الأهم والمهم» بوصفها حلقة الوصل بين الواجب والغاية. وتتمثل الجدة الأساسية في هذا البحث في تقديم نموذج ذي مستويين (البنية التحتية: واجبات قاعدية ذات قيمة ذاتية؛ والبنية الفوقية: الغاية النهائية الإلهية)، مع التأكيد على تطبيق قاعدة الأهم والمهم في حالات التزاحم الأخلاقي.

وتتمثل السؤال الرئيس للبحث في الآتي:

– ما النموذج الحاكم للأخلاق المعيارية في نهج‌البلاغة؟

– وهل يمكن تفسير هذا النموذج في ضوء النظرية الواجبية، أو النظرية الغائية النفعية، أو مزيج منهما؟

الإطار النظري؛ إعادة تعريف المفاهيم

قبل إجراء أي تحليل، من الضروري التمييز بين مقولتين مختلفتين تمامًا، تختلطان في أدبيات فلسفة الأخلاق واللاهوت، وهما: الغائية الوجودية[1] والغائية في الأخلاق المعيارية[2].

تجيب الغائية الوجودية عن السؤال المتعلق بما إذا كان العالم والإنسان قد خُلِقا لغاية أم عبثًا؛ في حين تبحث الغائية في الأخلاق المعيارية في ما إذا كان صواب الفعل الأخلاقي أو خطؤه يعتمد فقط على نتائجه وعواقبه (فرانكنا، ١٣٩٢ش: ٤٥). وعلى الرغم من اشتراك هذين المفهومين في اللفظ، فإنهما لا يستلزم أحدهما الآخر بأي وجه، ويُعدّ الخلط بينهما من أكثر الأخطاء المنهجية شيوعًا في الدراسات المقارنة. ويُراد بمصطلح «الغائية» في هذا البحث، متى أُطلق، النظرية المعيارية في فلسفة الأخلاق، لا هادفية عالم الخلق.

ومن جهة أخرى، صيغت النظم الكلاسيكية للأخلاق المعيارية في الغرب، في الغالب، ضمن قالبين هما الواجبية[3] والغائية النفعية[4]. والواجبية نظرية تؤمن بوجود التزامات وواجبات أخلاقية قبلية، يكون إلزامها ناشئًا من ذات الأفعال (المصدر نفسه: ٤٦). وفي المقابل، يرى الغائيون أنّ المعيار الأساسي أو النهائي لصواب الفعل الأخلاقي وخطئه هو القيمة غير الأخلاقية التي يُحدثها ذلك الفعل (المصدر نفسه: ٤٥).

وتتمثل دعوى هذا البحث في أنّ النظام الأخلاقي المستمد من نهج‌البلاغة لا يندرج في أيٍّ من هذين القالبين الاصطلاحيين، بل يرسم صورةً من الواجبية القاعدية ذات الغاية النهائية الإلهية[5]. ومعنى ذلك أنّ:

1. Teleology.
2. Consequentialism.
3. Deontology.
4. Utilitarianism.
5. Rule-Deontology with Divine Ultimate End.

(أ) الأفعال تنطوي على مصالح ومفاسد ذاتية، وأنّ العقل والشرع يعدّان بعض الأفعال واجبة أو محرّمة في ذاتها (الجانب الواجبي)؛

(ب) لكن العلة الغائية والسبب النهائي لأداء جميع هذه الواجبات ليس سوى القرب إلى الله، ورضا الحق، والسعادة الأخروية (الجانب الغائي الإلهي).

وبناءً على ذلك، فإنّ الواجبات في هذا النظام تمثّل «طريقًا» (وسيلةً) إلى الغاية الحقيقية.

منهجية البحث؛ الاستنطاق المنظَّم

أُجري هذا البحث وفق المنهج الوصفي–التحليلي، ومن نوع تحليل المحتوى النوعي الموجَّه .وقد جُمعت المعلومات بالأسلوب المكتبي، في حين يتمثل منهج التقويم في الاجتهاد المتداول القائم على الاستناد إلى المصادر المكتبية. غير أنّ الجدة المنهجية في هذا البحث تتمثل في توظيف منهج «الاستنطاق» بوصفه حوارًا منظّمًا مع النص. ويتضمن الاستنطاق في هذا البحث المراحل الآتية:

الخطوة الأولى: تصميم الأسئلة الأساسية في فلسفة الأخلاق؛ وتتمثل الأسئلة التي ستُطرح على نهج‌البلاغة في الآتي:

١. هل عُرّفت في نهج‌البلاغة أفعالٌ بوصفها «ذاتًا حسنة» أو «ذاتًا قبيحة»؟ وما معيار هذه الحُسن والقبح الذاتي؟

٢. إذا تعارض واجبان مع أحدهما الآخر (مثل الصدق والحفاظ على حياة المسلم)، فما معيار ترجيح أحد الواجبين على الآخر؟ هل يعود ذلك إلى نتائج الفعل أم إلى قاعدة أخرى؟

٣. ما الغاية النهائية والعلة الغائية لجميع الأفعال الأخلاقية المحمودة في نهج‌البلاغة؟ وهل تتمثل هذه الغاية في «السعادة الدنيوية»، أم «السعادة الأخروية»، أم «القرب الإلهي»، أم في مزيج من هذه الأمور؟

٤. هل يمكن القيام بفعل قبيح في ذاته (مثل الكذب) من أجل الوصول إلى نتيجة حسنة؟ وما جواب نهج‌البلاغة عن هذا السؤال؟

الخطوة الثانية: الرجوع إلى نص نهج‌البلاغة استنادًا إلى الألفاظ والمفاهيم المفتاحية؛ وذلك بالبحث المنهجي في الخطب والرسائل والحِكَم، استنادًا إلى ألفاظ مثل «فرض»، و«وظيفة»، و«تقوى»، و«فوز»، و«فلاح»، و«سعادة»، و«رضوان الله»، وكل موضع يشير إلى التزاحم أو ترتيب الأولويات بين الواجبات.

الخطوة الثالثة: الترميز والتصنيف؛ تُرمَّز العبارات المستخرجة وتُصنّف ضمن فئتين رئيسيتين: مقولات مرتبطة بالبعد الواجبي (الأحكام المطلقة، والتكاليف غير القابلة للتخلف، والحُسن والقبح الذاتي) ومقولات مرتبطة بالبعد الغائي الإلهي (الغاية النهائية للأفعال، والقرب الإلهي، والسعادة الأخروية، والتزاحم وقاعدة الأهم والمهم).

الخطوة الرابعة: التحليل والتركيب؛ تُحلّل النتائج في إطار نموذج «الواجبية في امتداد الغائية الإلهية»، وتُبيَّن نسبته إلى النظريتين الكلاسيكيتين. وتضمن هذه المنهجية أن يتجاوز البحث مستوى «انتقاء الاقتباسات المؤيدة للافتراض المسبق»، وأن يصل إلى حوار حقيقي مع النص.

الواجبية في نهج‌البلاغة

للبحث في مكانة «الواجب» في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة، ينبغي أولًا التمييز بين وجود الواجبات الأخلاقية (وهو أمر بديهي) وبين نظرية الواجبية بوصفها معيارًا لصواب الأفعال وخطئها. وفي هذا البحث، نعرّف الواجبية بأنها النظرية التي ترى أنّ بعض الأفعال تكون ملزمة في ذاتها وبصرف النظر عن نتائجها، وأنّ معيار الإلزام هو «ذات الفعل» أو «قاعدة مستقلة عن النتيجة» (فرانكنا، ١٣٩٢ش: ص٤٦؛ مصباح اليزدي، ١٣٨٤ش: ٢٥). وانطلاقًا من هذا التعريف، نتناول نهج‌البلاغة بالبحث والتحليل.

وجود الأحكام المطلقة والواجبات الذاتية

توجد في نهج‌البلاغة أفعال عُرّفت بوصفها حسنة أو قبيحة في ذاتها. يقول أميرالمؤمنين(ع): «جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ؛ فاجتنبوا الكذب، فإنّه مجانب للإيمان» (الخطبة: ٨٦). كما يقول في الحكمة ١٠٥: «إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا؛ لقد افترض

الله عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ لكم حدودًا فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها» (الحكمة: ١٠٥). ويرى آية الله مكارم الشيرازي، في شرحه لهذه الحكمة، أنّ هذه الفرائض تشمل الصلاة والصوم والحج والجهاد والزكاة، وأنّ لها مصالح مهمة (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦ش: ١٢/ ٦٢٥-٦٢٧). وتدلّ هذه الأوامر على وجود التزامات قبلية يكون معيارها ذات الأفعال أو الأمر الإلهي، سواء ترتب عليها نتيجة دنيوية محددة أم لم تترتب.

ويقول عليه السلام أيضًا في الخطبة ١٧٦: «الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ...» (الخطبة: ١٧٦). ويعدّ آية الله مكارم الشيرازي هذه المراحل «خلاصة برنامج السير والسلوك إلى الله» (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦ش: ٦/ ٥٦٣-٥٦٦). ويكشف التأكيد على «العمل» و«الاستقامة» و«الصبر»، من دون الإشارة إلى نتيجة دنيوية معينة، عن أصالة الواجب في هذه المرحلة.

القاعدة الذهبية؛ ما يتجاوز المبدأ الواجبي المحض

يقول أمير المؤمنين(ع) في الكتاب ٣١ من نهج البلاغة، مخاطبًا ابنه الإمام الحسن المجتبى(ع): « يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا...» (الرسالة: ٣١). وتُعرف هذه القاعدة في فلسفة الأخلاق الغربية باسم «القاعدة الذهبية[1]». وعلى الرغم من أنها قد تبدو، للوهلة الأولى، متداخلةً مع المبادئ الواجبية، فإن تحليل ماهيتها في إطار النظريات الأخلاقية المختلفة يكشف عن تمايزات جوهرية. في الواجبية عند إيمانويل كانط، يتأسس «الأمر المطلق[2]» على الاستقلال الذاتي للعقل العملي وضرورة قابلية التعميم الكوني[3] (كانط، ١٣٦٩ش: ٦٠). وقد صرّح كانط نفسه بأن القاعدة الذهبية أدنى مرتبةً من الأمر المطلق، ورفضها؛ إذ يرى أنها تفتقر إلى أساس قبلي وعام، وأنها تعتمد على ميول الأفراد وتفضيلاتهم الذاتية وظروفهم المتغيرة (كانط، ١٣٦٩ش: ٧٨، الهامش). ومن منظور كانط، إذا تأثرت الإرادة والقانون الأخلاقي بما يستحسنه الفاعل أو يستقبحه وفقًا لميوله الفردية، فقد القانون الأخلاقي طابعه الإلزامي القبلي.

في المقابل، يتجاوز توظيف هذه القاعدة في الخطاب العلوي كلًّا من «الواجبية الصورية المستقلة ذاتيًا عند كانط» و«الاتجاهات النتائجية المحضة». ففي نهج البلاغة، لا يُعَدّ اتخاذ النفس «ميزانًا» مبدأً تجريديًا منفصلًا عن المباني الوجودية والأخروية، بل يكتسب معناه ضمن شبكة من المفاهيم المؤسسة، من قبيل «التقوى»، و«مراعاة العاقبة الأخروية»، و«الخشية الإلهية». وبعبارة أخرى، لا تمثل القاعدة الذهبية هنا مجرد آلية لتحقيق المساواة انطلاقًا من الميول الطبيعية للإنسان، بل هي تجلٍّ عملي للإنصاف والعدل المتجذرين في الانقياد العبودي لله تعالى، واللذين تتمثل غايتهما النهائية في القرب الإلهي ورضا الله. وهذا إطار يربط العقلانية الأخلاقية بالغائية اللاهوتية وأخلاق الفضيلة التوحيدية.

الواجبات طريق إلى الغاية؛ الانتقال من الواجبية المحضة إلى الواجبية الغائية

إنّ النقطة الأساسية التي يُستخلص إليها من تحليل المقاطع السابقة هي أنّ أداء الواجبات في نهجالبلاغة لا يُفهم في ذاته ولا بوصفه «خط النهاية»، بل إنّ الواجبات تُرسم دائمًا في اتجاه غاية أسمى. يقول الإمام(ع) في الحكمة ١١٣: «لا عِبادَةَ كَأداءِ الفَرائِضِ؛ لا عبادة كأداء الفرائض» (الحكمة ١١٣). وعلى الرغم من أنّ هذه العبارة تؤكد أهمية الواجبات، فإنّ «العبادة»، بقرينة الآيات والروايات الأخرى، ليست هي الغاية النهائية في ذاتها، بل هي وسيلة للقرب من الله. وبعبارة أخرى، فالواجبات، في منظور الإمام(ع)، «طريق» وليست «مقصدًا».

ومن الشواهد الأخرى الكتاب ٥٣ إلى مالك الأشتر: «...وَ لْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ...» (الرسالة: ٥٣). فإقامة الفرائض هنا مرتبطة بـ«الإخلاص لله». والإخلاص يعني أداء الواجب من أجل الله وحده والوصول إليه، لا لمجرد ذات الفعل. ومن

1. The Golden Rule.
2. Categorical Imperative.
3. Universalizability.

ثمّ، فكلما أُدّي الواجب بإخلاص ويقين أكبر، كان أقرب إلى الغاية النهائية (القرب الإلهي).

الواجبية القاعدية في حالات التزاحم؛ الانتقال إلى الغائية

تتجلى أبرز ملامح تمايز النظام الأخلاقي في نهج البلاغة عن الواجبية الصورية والمطلقة، كالواجبية الكانطية، في كيفية التعامل مع تزاحم الواجبات والالتزامات الأخلاقية. ففي الواجبية المطلقة، تُعَدّ الالتزامات القبلية، مثل الصدق، واجباتٍ لا تقبل الاستثناء، وغير مشروطة، ومستقلة عن النتائج؛ حتى لو أدى الالتزام بها إلى الهلاك وعواقب كارثية. أما في العقلانية الأخلاقية لدى أمير المؤمنين(ع)، فتتفاوت الواجبات في مراتب طولية تشكيكية، وعند التزاحم بين حكمين أو تكليفين، تسود القاعدة العقلية والعقلائية القاضية بـ«ترجيح الأهم على المهم». ويتجلى تطبيق هذه القاعدة بوضوح في متن نهج البلاغة من خلال تقديم الفرائض الأساسية على الأعمال الفرعية والمستحبات؛ إذ يقول الإمام(ع): «لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ» (الحكمة: ١٤٥)، أي لا يتحقق التقرب بأي عمل نافل أو مستحب إذا أضرّ بالواجبات. وتدل هذه العبارة بوضوح على أن القيمة الذاتية للفعل أو قدرته على تحقيق القرب ليست مطلقةً وثابتةً، بل تتوقف منزلته الأخلاقية والعبادية على ألّا يزاحم الالتزامات الأكثر حيويةً والفرائض الأشد أساسيةً. وإضافةً إلى ذلك، يقدّم الإمام، في مجال الإدارة الاجتماعية والسياسية العامة، استجلاب رضا عامة الناس وصيانة أسس المجتمع على استرضاء طبقة الخاصة، ويجعل مصلحة حفظ دعائم الدين مقدّمةً على سائر التفضيلات (الرسالة: ٥٣).

ويتجسد هذا المنطق أيضًا في الأفق الشامل للسنة الروائية لأهل البيت :، الذين يُنظر إلى تعاليمهم بوصفها مفسِّرةً ومتناغمةً مع تعاليم نهج البلاغة، وذلك في مسألة الأحكام الثانوية، ولا سيما الكذب المصلحي. ففي حالة التزاحم بين قبح الكذب من جهة، ووجوب حفظ النفس أو الإصلاح بين الناس من جهة أخرى، يُقدَّم التكليف الأهم على المهم. وقد رُوي عن النبي الأكرم(ص) أنه قال: «يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْكَذِبَ فِي الصَّلَاحِ وَيُبْغِضُ الصِّدْقَ فِي الْفَسَادِ»؛ أي: «يا علي، إن الله يحب الكذب الذي يُقصد به الإصلاح والخير، ويبغض الصدق والكلام الصادق إذا أدّيا إلى الفساد والتباهي» (الحر العاملي، ١٤٠٩ق: ١٢/ ٢٥٢؛ المجلسي، ١٤٠٣ق: ٧٧/ ٤٧).

وفي السياق نفسه، قال الإمام الصادق(ع): «كُلُّ كَذِبٍ مَسْئُولٌ عَنْهُ صَاحِبُهُ يَوْماً، إِلَّا كَذِباً فِي ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ كَائِدٌ فِي حَرْبِهِ... أَوْ رَجُلٌ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ»؛ أي إن صاحب كل كذب سيُسأل عنه يومًا ويكون مسؤولًا عنه، باستثناء الكذب في ثلاثة مواضع، منها أن يمارس المرء الخداع في حربه مع العدو، أو أن يسعى إلى الإصلاح والمصالحة بين شخصين... (الكليني، ١٤٠٧ق: ٢/ ٣٤٢). كما صرّح الإمام(ع) بعبارة موجزة وحاسمة: «الْمُصْلِحُ لَيْسَ بِكَذَّابٍ»؛ أي إن المصلح، وإن تلفّظ بما يخالف الواقع بقصد الإصلاح، لا يُعَدّ كذّابًا (الكليني، ١٤٠٧ق: ٢/ ٣٤٢؛ الفيض الكاشاني، ١٤٠٦ق: ٣/ ١٥٨). وتدل هذه الشواهد مجتمعةً على أن الالتزام بواجب أخلاقي في مقام التزاحم والعمل، وفق الحكمة الأخلاقية العلوية، يتقيد بصيانة الغايات الأسمى والمقاصد الإنسانية الإلهية العليا، مثل حفظ النفوس، والسلم الاجتماعي، وبقاء النظام التوحيدي. ويمكن وصف هذا الاتجاه بأنه «الواجبية القاعدية ذات التوجه الغائي»؛ فهو نظام يتجاوز جمود الصورية الكانطية وتجريدها، ويتجنب في الوقت نفسه الانحدار إلى النتائجية المحضة وإضفاء الأصالة على المنفعة المادية.

خلاصة قسم الواجبية

في ضوء تحليل المقاطع التي جرت دراستها، يمكن صياغة الخصائص الأساسية لنموذج الواجبية في نهج البلاغة على النحو الآتي:

- **وجود التزامات أخلاقية قبلية وأصيلة:** يؤكد نهج البلاغة، في المقام الأول، الواجبات والحدود الإلهية الأولية، ويعدّ سلوكيات من قبيل الكذب مذمومةً في ذاتها ومنافيةً للإيمان (الخطبة: ٨٦، الحكمة: ١٠٥)؛
- **كون الواجبات طريقًا إلى الغاية القصوى:** ليست الواجبات الأخلاقية والتكاليف العبادية غايةً نهائيةً ولا غاياتٍ قائمةً بذاتها،

بل هي أرضية وطريق لبلوغ الغاية القصوى، أي القرب الإلهي والإخلاص لله تعالى (الرسالة: ٥٣، الحكمة: ١١٣)؛

• **حاكمية قاعدة «الأهم والمهم» عند التزاحم**: خلافًا للواجبية المطلقة عند كانط، تُجري العقلانية الحاكمة في نهج البلاغة قاعدة «الأهم والمهم» عند تزاحم الواجبات. ويتجلى ذلك في تقديم الفرائض على النوافل (الحكمة: ١٤٥)، وترجيح المصالح العامة (الرسالة: ٥٣)، وهو ما يتقاطع مع جواز الكذب بقصد الإصلاح بين الناس في روايات المعصومين عليهم السلام. وفي حالات التزاحم هذه، يتمثل معيار الترجيح في الموازنة الغائية وتحقيق الإرادة الإلهية ورضاه.

وبناءً على ذلك، فإن وصف أخلاق نهج البلاغة بمجرد «الواجبية» وصف غير دقيق. فما يقدمه نهج البلاغة هو «نموذج تركيبي للواجبية القاعدية ضمن إطار الغائية الإلهية»، وهو نموذج سيُوضَّح في القسم التالي من خلال تحليل البنية الغائية في نهج البلاغة مباشرةً.

الغائية الإلهية في نهج‌البلاغة

بعد تبيين البعد الواجبي (وجود الواجبات الذاتية والالتزامات القبلية) في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة، يحين الآن دور دراسة البعد الغائي فيه. غير أنّه ينبغي، قبل كل شيء، التأكيد على أنّ المقصود بـ«الغائية» في هذا البحث هو النظرية المعيارية الغائية[1] التي ترى أنّ صواب الفعل الأخلاقي أو خطأه يتوقف على نتائجه وعواقبه (فرانكنا، ١٣٩٢ش: ٤٥). وينبغي تمييز هذا التعريف عن الغائية الوجودية التي تتناول هادفية عالم الخلق وكونه ذا غاية. وما يُبحث في هذا القسم هو الإجابة عن السؤال الآتي: ما العلة الغائية والدافع النهائي للأفعال الأخلاقية في نهج‌البلاغة؟ وهل ترتبط هذه الغاية بالمنفعة الدنيوية، أم بالسعادة الأخروية والقرب الإلهي؟

تبيين الغاية الإلهية؛ لا المنفعة الدنيوية

يتضح من نصوص نهج‌البلاغة بجلاء أن الأفعال الأخلاقية تملك غاية تتجاوز اللذة أو المنفعة المادية. يقول أميرالمؤمنين(ع) في الخطبة ١٨٣: «وَ أُصِيكُم بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَها مُنْتَهى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِن خَلقِهِ» (الخطبة: ١٨٣). ويقول ابن ميثم في شرح هذه العبارة: «إنّ الله تعالى جعل التقوى منتهى رضاه، وحاجته الوحيدة من عباده» (ابن ميثم، د.ت:٣/ ٧٧٣). ويدل هذا الكلام على أن «رضى الله» قد قُدِّم بوصفه الغاية النهائية للأفعال، لا المنفعة أو اللذة الشخصية.

ويقول عليه السلام أيضًا في الخطبة ٩١: «ظَهَرَت فِي بَدَائِعِ الَّذي أَحدَثَها آثارُ حِكْمَتِهِ...»؛ ثم يقدّم انتظام العالم وهادفية الخلق بوصفهما من علامات الحكمة الإلهية (الخطبة: ٩١). ويقول العلامة المجلسي في شرح هذه الطائفة من الروايات: «كَفى بِإِتقانِ الصُّنعِ لَها آيَةً وَبِمَركَبِ الطَّبعِ عَلَيها دِلالَةً» (المجلسي، ١٤٠٣ق:٤/ ٢٢١). وهذه البيانات، وإن كانت واردة في مقام إثبات معرفة الله وهادفية الخلق، فإنها تمثل مقدمة للحقيقة القائلة إن الإنسان أيضًا ينبغي أن ينظّم أفعاله على أساس هذه الغاية النهائية، أي رضا الله والقرب منه.

الصلة بين الدنيا والآخرة: غاية طولية لا عرضية

من أكثر المباحث تعقيدًا في تبيين الغائية الإسلامية بيان نسبة «الدنيا» إلى «الآخرة». فهل يدعو الإسلام إلى الترك الكامل للدنيا والوصول إلى الآخرة، وفق نظرة رهبانية محضة، أم إن الدنيا تمثل غاية مستقلة في ذاتها؟ يقدم نهج‌البلاغة نموذجًا ثالثًا. يقول الإمام(ع): «الدُّنْيا خُلِقَتْ لِغَيْرِها ولَمْ تَخْلُقْ لِنَفْسِها» (الحكمة: ٤٦٣). ويقول(ع) أيضًا: «الدُّنْيا وَالْآخِرَةُ عُدْوَانٌ مُتَفَاوِتَانِ وسَبِيلانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيا وَتَوَلَّاها أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا» (الحكمة: ١٠٣).

ويُستفاد من هاتين الحكمتين أن الدنيا ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة إلى الآخرة. غير أن ذلك لا يعني تحريم اللذات الدنيوية؛ بل إن الانتفاع بالدنيا في إطار الأخلاق والشريعة ليس ممنوعًا فحسب، بل قد يكون أحيانًا مقدمة للسعادة الأخروية. يقول الإمام(ع) في الخطبة

1. Consequentialism.

٢٠٣: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيا دارُ مَجَرٍّ وَالْآخِرَةُ دارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ» (الخطبة: ٢٠٣). ويقول عليه السلام أيضًا في الخطبة ١٣٢: «فَإِنَّ الدُّنْيا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دارَ مُقامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَرّاً، فَتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمالَ إِلى دارِ الْقَرارِ» (الخطبة: ١٣٢).

وعليه، فإن النموذج الحاكم في نهج‌البلاغة هو الغاية الطولية؛ فالدنيا ليست غاية، لكنها مقدمة ووسيلة للوصول إلى الآخرة. والسعادة الدنيوية في هذا النموذج ليست غاية مستقلة، بل هي نتيجة طبيعية لأداء الواجبات الأخلاقية والانتفاع اللائق بالمواهب الإلهية. وبعبارة أخرى، لا يتبنى الإسلام عزوفًا محضًا عن الدنيا، ولا يكرّس عبادة الدنيا؛ بل يجعل «الدنيا للآخرة» و«الآخرة الغاية النهائية». ويقول آية الله جوادي الآملي في هذا الشأن: «إنّ الإنسان، لأنّه لا يفنى بالموت بل يبقى، فهو بحاجة إلى المتاع الباقي والزاد الخالد، وذلك لا يوجد إلا عند الله» (جوادي الآملي، د.ت: ٤/ ٨٥).

الإنسان، الغاية الطولية للخلق، والمتمتع بالغاية الإلهية

في الرؤية التوحيدية لنهج‌البلاغة، يحتل الإنسان رأس هرم الخلق. فقد خلق الله السماوات والأرض للإنسان، وخلق الإنسان لنفسه، أي للمعرفة والعبادة والقرب. يقول أميرالمؤمنين(ع) في الخطبة ١٤٣: «وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ وَالسَّماءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتانِ لِرَبِّكُمْ... أُمِرَتا بِمَنافِعِكُمْ فَأَطاعَتا» (الخطبة: ١٤٣). ويقول ابن ميثم في شرح هذه الخطبة: إن طاعة السماء والأرض للإرادة الإلهية إنما هي في إطار خدمتهما للإنسان (ابن ميثم، د.ت: ٣/ ٣٤٢). وهذا يعني أن العالم، بما يشتمل عليه من إمكانات، قد صُمّم بما يخدم غاية الإنسان، وهي القرب إلى الله.

غير أن «الإنسان» نفسه يمتلك غاية. يقول الإمام علي(ع) في الخطبة ١١٤: «فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ» (الخطبة: ١١٤). ويقول في الكتاب ٣١: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسانِكَ...» (الرسالة: ٣١). وتدل هذه الأوامر على أن غاية الإنسان تتمثل في «العمل الصالح» في إطار الواجبات الإلهية، بما يوصله إلى القرب الإلهي. وقد أشار سبحاني‌نيا (١٤٠٢ش) في بحثه إلى أن الغاية في المدرسة الأخلاقية للإمام(ع) هي «التوحيد الحضوري والانقطاع إلى الله»، وأن مفاهيم من قبيل الفوز والفلاح والسعادة ورضا الله تعالى تندرج ضمن هذا المعنى (سبحاني‌نيا، ١٤٠٢ش: ١٣٢).

غاية الأفعال: القرب الإلهي والسعادة الأخروية، لا تعظيم اللذة

يتضح بالتأمل في الفقرات السابقة أن الغائية المقصودة في نهج‌البلاغة لا تمتّ بصلة إلى النفعية. ففي النفعية، يتمثل «الخير» في «تعظيم اللذة أو تقليل الألم إلى أدنى حد لأكبر عدد من الناس»، ويُعدّ هذا الخير ذا قيمة مستقلة ودنيوية. أما في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة:

- الخير الحقيقي هو القرب الإلهي ورضا الله، لا اللذة الدنيوية؛
- القيمة الأخلاقية للفعل تتوقف على مدى انطباقه على الأمر الإلهي وقصد القرب، لا على نتيجته الظاهرية فحسب؛
- السعادة الأخروية هي الغاية النهائية، أما السعادة الدنيوية، فإذا كانت في إطار الأخلاق وفي خدمة الآخرة، فهي مطلوبة، وإلا فهي مذمومة.

ويقول العلامة مصباح اليزدي في تبيين ذلك: «إنّ الاعتقاد بالحياة الأخروية لا يستطيع أن يؤدي دوره إلا إذا قُبل وجود نوع من العلاقة العلية بين الأنشطة الدنيوية والسعادة والشقاء الأخرويين» (مصباح اليزدي، ١٣٧٨ش: ٣٤٠). وبعبارة أخرى، فإن «نتيجة» الفعل، في المنظور الإسلامي، لا تكون جيدة إلا إذا أفضت إلى القرب الإلهي والسعادة الأخروية؛ وهذه السعادة الأخروية نفسها معلولة لأداء الواجبات الأخلاقية بنية إلهية. ومن ثمّ، فإن «الغاية» (القرب الإلهي) و«الواجب» (الطريق الموصل إليها) لا يتعارضان هنا فحسب، بل يتكاملان.

خلاصة قسم الغائية الإلهية

استنادًا إلى نتائج هذا القسم، يتبين أن النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة:

- يجعل الغاية النهائية للأفعال «القرب إلى الله، ورضا الحق، والسعادة الأخروية»، لا اللذة أو المنفعة الدنيوية؛

• يقدّم الدنيا بوصفها وسيلة إلى الآخرة (الغاية الطولية)، ويعدّ الانتفاع بالدنيا في إطار الأخلاق جائزًا، بل مرغوبًا فيه أحيانًا؛

• يعدّ الإنسان غاية طولية للخلق، وفي الوقت نفسه ذا غاية تتمثل في «العمل الصالح من أجل القرب الإلهي».

وهذه الغائية ليست من نوع النفعية (بنتام وميل)، بل من نوع الغائية الإلهية[1]، التي تكون فيها قيمة النتائج نفسها متوقفة على الأمر الإلهي ونية القرب. ومن ثمّ، لا يمكن اختزال النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة في النفعية، بل إنه يقدم نموذجًا مبتكرًا من «الغائية الإلهية القاعدية»، سيُبيَّن في القسم اللاحق بوصفه نموذجًا تركيبيًا.

المناقشة والتحليل: نموذج «الواجبية القاعدية ذات الغاية النهائية الإلهية» في نهج‌البلاغة

بعد تبيين البعدين الواجبي والغائي الإلهي كلٍّ على حدة في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة، يحين الآن تقديم النموذج التركيبي الذي يكشف عن الصلة بين هذين البعدين والتفاعل بينهما. وفي هذا القسم، نجيب أولًا عن أسئلة الاستنطاق الأربعة، ثم نرسم معالم النموذج النهائي، ونبيّن في الختام أوجه تميّزه عن النظريتين الكلاسيكيتين: الواجبية الكانطية والغائية النفعية البنتامية.

الإجابة عن أسئلة الاستنطاق في ضوء النتائج

طُرحت، في إطار هذا البحث النظري (المقدمة)، أربعة أسئلة أساسية على نهج‌البلاغة. وفيما يأتي الإجابة عنها في ضوء نتائج القسمين السابقين.

السؤال الأول: هل عُرضت أفعال بوصفها خيّرة أو شريرة في ذاتها؟

أظهرت نتائج قسم الواجبية أن نهج‌البلاغة يعرض أفعالًا مثل الصدق والعدل والوفاء بالعهد وأداء الأمانة بوصفها أفعالًا ذات قيمة ذاتية (الرسالة: ٣١، الحكمة: ١٠٥)، في حين يعدّ الكذب والخيانة والظلم أفعالًا قبيحة في ذاتها (الخطبة: ٨٦). ويستند معيار الحسن والقبح، إلى جانب الأمر الإلهي، إلى حكم العقل المستقل عن النتائج الدنيوية. وبعبارة أخرى، تتمتع هذه الأفعال بقيمة أخلاقية أو بحرمة أخلاقية في ذاتها، بصرف النظر عن أي نتيجة تترتب عليها.

السؤال الثاني: ما معيار الترجيح عند تزاحم الواجبات؟

في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة، تُطبَّق قاعدة «الأهم والمهم» بدلًا من الإصرار على واجب مطلق لا تجوز مخالفته في أي حال. ويتمثل معيار الترجيح في هذه القاعدة في «الأقربية إلى رضا الله» و«الوقاية من الفساد الأكبر»، لا في مجرد حساب اللذة أو المنفعة الدنيوية. ومن الشواهد الواضحة على ذلك الروايات التي تجيز الكذب المصلحي في ظروف خاصة بقصد الإصلاح بين الناس، أو مواجهة العدو في الحرب، أو تحقيق الوئام بين الزوجين، بل تعدّه أحيانًا أمرًا مرغوبًا فيه (الحر العاملي، ١٣٦٤: ٥/ ٥٧٨؛ المجلسي، ١٤٠٣ق: ٧٧/ ٤٧). ويقول الفيض الكاشاني في تفسير هذه الطائفة من الروايات: «المصلح ليس بكذّاب»؛ أي إن من يلجأ إلى الكذب المصلحي لا يُعَدّ، في الحقيقة، كذّابًا (الفيض الكاشاني، ١٤٠٦ق: ٣/ ١٥٨). وهذا يدل على أنه عند تزاحم الواجبات، تُقدَّم المحافظة على الغاية الأسمى، مثل إحلال السلام في المجتمع أو إنقاذ النفس، على الالتزام بواجب أدنى أهمية.

السؤال الثالث: ما الغاية النهائية للأفعال الأخلاقية؟

يتضح بالتأمل في الخطبتين ١٨٣ و٩١ من نهج‌البلاغة أن «القرب إلى الله، ورضا الحق، والسعادة الأخروية» هي الغاية النهائية للأفعال الأخلاقية. يقول الإمام(ع) في الخطبة ١٨٣: «وَأُصِيكُم بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَها مُنْتَهى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِن خَلقِهِ» (الخطبة: ١٨٣). ويرى ابن ميثم، في شرحه لهذه العبارة، أن الله تعالى جعل التقوى منتهى رضاه ومطلبه الوحيد من عباده (ابن ميثم، د.ت: ٣/ ٧٧٣). أما السعادة الدنيوية، فليست غاية في ذاتها، بل هي إما مقدمة للسعادة الأخروية، وإما نتيجة طبيعية لأداء الواجبات الأخلاقية. وكما يبيّن

1. Divine Teleology.

الإمام(ع) بوضوح في الحكمة ٤٦٣ والخطبة ٢٠٣، فإن الدنيا خُلقت لغيرها، وليست سوى معبر إلى الآخرة.

السؤال الرابع: هل يجوز ارتكاب فعل قبيح في ذاته من أجل تحقيق نتيجة حسنة؟

إن جواب نهج‌البلاغة عن هذا السؤال هو النفي القاطع، إلا في حالات التزاحم والاضطرار. ففي الظروف العادية، لا يجوز بأي وجه ارتكاب الأفعال القبيحة، كالكذب والخيانة والظلم، لما لها من حرمة ذاتية. أما إذا وقع التعارض بين واجبين، فتُطبَّق قاعدة «الأهم والمهم»؛ أي قد يضطر المرء إلى ترك واجب أقل أهمية بصورة مؤقتة من أجل المحافظة على واجب أشد أهمية، مثل إنقاذ حياة إنسان أو إصلاح المجتمع. غير أن هذا الجواز الاضطراري لا يعني زوال أصل الحرمة عن الفعل المعني، بل يظل محصورًا في نطاق التزاحم وبالقدر اللازم لدفع الضرورة (حقاني، ١٣٧٣ش: ٢٧٤).

النموذج التركيبي: الواجبية القاعدية في امتداد الغائية الإلهية

استنادًا إلى الإجابات السابقة، يمكن رسم النموذج الحاكم للنظام الأخلاقي في نهج‌البلاغة في صورة بنية ذات مستويين: يمثّل المستوى الأدنى، أي البنية التحتية، الواجبية القاعدية، بينما يمثّل المستوى الأعلى، أي البنية الفوقية، الغائية الإلهية. ولا يتعارض هذان المستويان، بل ينتظم أحدهما في امتداد الآخر ويكمّله.

- **المستوى الأول (البنية التحتية): الواجبية القاعدية**؛ في هذا المستوى، تقوم الأحكام والواجبات الأخلاقية على مصالح ومفاسد ذاتية. ويعدّ العقل والشرع بعض الأفعال واجبة أو محرّمة في ذاتها، وبصرف النظر عن نتائجها الدنيوية. وتتمثل هذه الواجبات في قواعد عامة قابلة للتعميم، مثل حرمة الكذب، ووجوب الصدق، ووجوب العدل، وحرمة الظلم. ويجيب هذا المستوى، في حقيقة الأمر، عن السؤال الآتي: ما الذي ينبغي للإنسان أن يفعله، وما الذي ينبغي له أن يجتنبه عند تعامله مع الأفعال؟
- **المستوى الثاني (البنية الفوقية): الغائية الإلهية**؛ غير أن هذه الواجبات ليست خط النهاية ولا الغاية النهائية. فالمستوى الثاني يبيّن أن العلة الغائية والدافع النهائي لأداء هذه الواجبات جميعًا لا يتجاوزان «القرب إلى الله، ورضا الحق، والسعادة الأخروية». وبعبارة أخرى، تمثّل الواجبات في هذا النظام «طريقًا» ووسيلةً للوصول إلى الغاية الإلهية. وعند تزاحم واجبين، تُطبَّق قاعدة «الأهم والمهم» وفق معيار «الأقربية إلى الغاية الإلهية». فالسعادة الأخروية هي الغاية النهائية، والدنيا وسيلة للوصول إليها، أي إنها غاية طولية وليست غاية مستقلة. ويجيب هذا المستوى، في حقيقة الأمر، عن السؤال الآتي: إلى أين يتجه الإنسان، ولماذا ينبغي له أداء واجباته؟

ويمكن ملاحظة الصلة بين هذين المستويين في قول أميرالمؤمنين(ع) في الحكمة ١١٣: «لا عِبادَةَ كَأداءِ الفَرائِضِ» (الحكمة: ١١٣). فمن جهة، يُقدَّم «أداء الفرائض»، وهو ما يمثّل المستوى الأول، بوصفه أسمى العبادات؛ ومن جهة أخرى، ليست «العبادة» نفسها الغاية النهائية، بل هي وسيلة للتقرب إلى الله. كذلك، يربط الإمام(ع) في الكتاب ٥٣، الموجّه إلى مالك الأشتر، أداء الفرائض بالإخلاص لله، إذ يقول: «...وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ...» (الرسالة: ٥٣). والإخلاص يعني أداء الواجب ابتغاء وجه الله والوصول إليه، لا لمجرد القيمة الذاتية للفعل. وهنا تلتقي الواجبية بالغائية.

تميّز النموذج المقترح عن النظريتين الكلاسيكيتين

لتوضيح حدود هذا النموذج بصورة أدق، نقارنه بنظريتين منافستين: الواجبية المطلقة عند كانط، والغائية النفعية عند بنتام وميل.

في الواجبية الكانطية، يتحدد معيار صواب الفعل بذات الفعل والقاعدة الكلية القابلة للتعميم، وتتمثل الغاية النهائية في الواجب نفسه، أي أداء الواجب من أجل الواجب. وعند تزاحم الواجبات، تعجز هذه النظرية عمليًا عن حل المعضلات الأخلاقية، لأنها تتعامل مع القواعد بوصفها مطلقة وغير قابلة للمخالفة. كما أنها تقرّ بالقيمة الذاتية للأفعال، لكنها تجعل العقل العملي المرجع الوحيد لتحديدها، ولا تمنح الشرع دورًا في ذلك. أما في الغائية النفعية البنتامية، فيتحدد معيار صواب الفعل بنتيجته وأثره، أي تعظيم اللذة أو تقليل الألم إلى أدنى حد، وتتمثل الغاية النهائية في اللذة والمنفعة

الدنيويتين. وعند التزاحم، يُختار الفعل الأرجح من خلال الحساب الكمي للمنافع والأضرار. ولا تقرّ هذه النظرية، وفق التصور المعروض هنا، بقيمة ذاتية لأي فعل؛ إذ لا يُعدّ أي فعل خيرًا أو شرًا في ذاته، ولا تنظر إلى العقل إلا بوصفه أداة لحساب المنفعة. أما النموذج المقترح المستخرج من نهج‌البلاغة، فيسلك مسارًا وسطًا، وفي الوقت نفسه أسمى من المسارين السابقين. ففي هذا النموذج، يتحدد معيار صواب الفعل تبعًا لعاملين: الالتزام بالقواعد الإلهية، وهو البعد الواجبي، والتوجّه نحو الغاية النهائية، وهو البعد الغائي. وتتمثل الغاية النهائية في «القرب إلى الله والسعادة الأخروية»، لا في اللذة الدنيوية. وعند التزاحم، تُطبَّق قاعدة «الأهم والمهم» وفق معيار «الأقربية إلى رضا الله»، لا بمجرد حساب المنفعة. ويُقرّ هذا النموذج بالقيمة الذاتية للأفعال إقرارًا كاملًا، انطلاقًا من المصالح والمفاسد الذاتية، غير أن هذه القيم تكتسب معناها في امتداد الغاية الإلهية. كما يتكامل العقل والشرع في تحديد الأحكام الأخلاقية.

وبعبارة أوضح، يكمن الاختلاف الجوهري بين نموذج نهج‌البلاغة والواجبية الكانطية في أن الواجبات، في النموذج الأول، طريق إلى الغاية وليست هي المقصد النهائي في ذاتها. أما اختلافه عن النفعية البنتامية، فيتمثل في أن الغاية النهائية ليست اللذة الدنيوية، بل القرب الإلهي والسعادة الأخروية. وإضافة إلى ذلك، تُصان القيمة الذاتية للأفعال قبل النظر في نتائجها، ولا يُلجأ إلى قاعدة «الأهم والمهم» إلا عند التزاحم.

خلاصة المناقشة

إن النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة نظام متكامل وتركيبي، لا تتعارض فيه «الواجبية» و«الغائية»، بل تتفاعلان وتتضافران في تحقيق التكامل. فالإنسان، وفق هذه الرؤية، مكلّف من جهة بالالتزام بالقواعد الأخلاقية ذات القيمة الذاتية، كالصدق والعدل وأداء الأمانة، وهادف من جهة أخرى إلى التوجه، من خلال أداء هذه الواجبات بنية التقرب إلى الله، نحو غايته النهائية المتمثلة في رضا الحق والسعادة الأخروية. وعندما يتزاحم واجبان، يستعين هذا الإنسان الهادف بقاعدة «الأهم والمهم»، ويحدّد الواجب الأرجح وفق معيار «الأقربية إلى رضا الله»، ثم يعمل بمقتضاه.

ويبتعد هذا النموذج الثلاثي الأبعاد، القائم على الواجب والغاية وقاعدة معالجة التزاحم، عن كلٍّ من الجمود الفكري الذي قد ينشأ عن الواجبية المطلقة، والتي تعجز عن حل المعضلات الأخلاقية، والنسبية التي قد تفضي إليها النفعية المحضة، بما قد تتيحه من تبرير أي فعل بأي وسيلة. وتكمن خصوصية هذا النظام في الصلة العميقة بين التوجّه التكليفي والتوجّه الغائي في إطار التوجّه إلى الله؛ وهي صلة لا تنطوي على تعارض بين هذه الأبعاد، بل تجعلها متكاملة ومتضافرة، وتهدي الإنسان إلى كماله النهائي.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال الآتي: ما النموذج الحاكم للأخلاق المعيارية في نهج‌البلاغة؟ وهل يمكن تفسير هذا النموذج في ضوء النظرية الواجبية، أو الغائية النفعية، أو نموذج تركيبي يجمع بينهما؟ واستنادًا إلى النتائج المستخلصة من الاستنطاق المنهجي لنهج‌البلاغة وتحليل المحتوى النوعي للخطب والكتب والحِكَم العلوية، يمكن الآن تقديم إجابة واضحة ومستندة إلى الشواهد.

الإجابة عن سؤال البحث: إن النموذج الحاكم للنظام الأخلاقي في نهج‌البلاغة ليس الواجبية المطلقة على الطريقة الكانطية، ولا الغائية النفعية على طريقة بنتام وميل، بل هو نموذج تركيبي ذو مستويين، أُطلق عليه في هذه الدراسة اسم «الواجبية القاعدية ذات الغاية النهائية الإلهية». ويقوم هذا النموذج على ثلاثة أركان أساسية:

الركن الأول: وجود واجبات أخلاقية قاعدية ذات قيمة ذاتية؛ يعرض نهج‌البلاغة أفعالًا مثل الصدق والعدل والوفاء بالعهد وأداء الأمانة بوصفها أفعالًا تتمتع بقيمة أخلاقية في ذاتها، بصرف النظر عن نتائجها الدنيوية. وفي المقابل، يُعدّ الكذب والخيانة والظلم أفعالًا قبيحة في ذاتها. وهذا هو البعد الواجبي للنظام الأخلاقي، الذي يستند إلى المصالح والمفاسد الذاتية للأفعال.

الركن الثاني: الغاية النهائية الإلهية، المتمثلة في القرب إلى الله ورضا الحق؛ مع ذلك، لا تمثل الواجبات في هذا النظام خط النهاية

ولا الغاية النهائية. فالعلة الغائية والدافع النهائي لأداء جميع الواجبات هما «القرب إلى الله، ورضا الحق، والسعادة الأخروية». وبعبارة أخرى، تمثل الواجبات «طريقًا» ووسيلةً للوصول إلى الغاية الإلهية. وهذا البعد الغائي هو ما يميّز النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة عن الواجبية المحضة، التي تجعل الواجب نفسه غايةً.

الركن الثالث: قاعدة «الأهم والمهم» لحل حالات التزاحم؛ عندما يقع التعارض بين واجبين، تُطبَّق قاعدة «الأهم والمهم» بدلًا من الإصرار على واجب مطلق. ويتمثل معيار الترجيح في هذه القاعدة في «الأقربية إلى رضا الله» و«الوقاية من الفساد الأكبر»، لا في مجرد حساب اللذة أو المنفعة الدنيوية. وتُعدّ الروايات المتعلقة بالكذب المصلحي، التي بُحثت في قسم الواجبية، مثالًا واضحًا على تطبيق هذه القاعدة عند التزاحم بين واجب الصدق وواجب الإصلاح بين الناس أو إنقاذ حياة مسلم.

تميّز النموذج عن النظريات المنافسة: يختلف هذا النموذج عن الواجبية الكانطية من جهتين؛ أولاهما أن الواجبات فيه تمثل طريقًا إلى الغاية، وليست هي المقصد النهائي في ذاتها؛ وثانيتهما أن كانط يتمسك، عند تزاحم الواجبات، بقواعد مطلقة لا تقبل المخالفة، في حين تُطبَّق قاعدة «الأهم والمهم» في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة. كما يختلف هذا النموذج عن الغائية النفعية من جهتين: أولاهما أن الغاية النهائية ليست اللذة أو المنفعة الدنيوية، بل القرب الإلهي والسعادة الأخروية؛ وثانيتهما أن القيمة الذاتية للأفعال تُصان في هذا النظام قبل حساب النتائج، ولا تُطبَّق قاعدة «الأهم والمهم» إلا في حالات الاضطرار والتزاحم.

العلاقة بين الدنيا والآخرة في هذا النموذج: استنادًا إلى نتائج هذه الدراسة، تمثل الآخرة الغاية النهائية في النظام الأخلاقي لنهج‌البلاغة، بينما تمثل الدنيا وسيلة للوصول إليها، أي إنها غاية طولية وليست غاية مستقلة. فالسعادة الدنيوية ليست غاية في ذاتها، لكنها إذا تحققت في إطار الأخلاق والشريعة، لم تكن مذمومة فحسب، بل أمكن أن تكون مقدمة للسعادة الأخروية. وبعبارة أخرى، لا يتبنى الإسلام عزوفًا محضًا عن الدنيا، ولا يدعو إلى عبوديتها؛ بل يقدم نموذجًا تكون فيه «الدنيا للآخرة» و«الآخرة طريقًا إلى القرب الإلهي».

الخلاصة النهائية: الإنسان، في رؤية نهج‌البلاغة، ليس كائنًا تائهًا أو متروكًا بلا غاية، بل خُلق لغاية سامية ترسم مسار حياته. وهذا الإنسان الهادف خُلق في عالم ذي غاية، ويسري فيه نظام أخلاقي. ومن ثمّ، فهو مكلّف بأن يقترب من غايته النهائية، المتمثلة في رضا الحق والسعادة الأخروية، من خلال الالتزام بالقواعد الأخلاقية ذات القيمة الذاتية، كالصدق والعدل وأداء الأمانة، وأداء هذه الواجبات بنية التقرب إلى الله. وعند تزاحم الواجبات، يحدّد الواجب الأرجح ويعمل بمقتضاه من خلال تطبيق قاعدة «الأهم والمهم» وفق معيار «الأقربية إلى رضا الله». وبهذا، يبتعد هذا النموذج الثلاثي الأبعاد عن كلٍّ من الجمود الفكري للواجبية المطلقة والنسبية التي قد تفضي إليها النفعية المحضة.

المصادر

القرآن الكريم.

نهج‌البلاغة.

ابن ميثم البحراني. (د.ت). ميثم بن علي. ***شرح نهج‌البلاغة لابن ميثم***. بيروت: دار الثقلين.

جوادي آملي، عبدالله (د.ت). ***المعاد في القرآن***. قم: مركز نشر إسراء.

حاجي جعفري، علي. (١٣٩٦ش). ***الواجبية والغائية الأخلاقية في القرآن الكريم*** (رسالة ماجستير). جامعة قم، قم، إيران.

حاجي جعفري، علي. (١٤٠٤ش). من التقابل إلى التكامل؛ تقديم نموذج للنظام الطولي في بيان نسبة الواجبية والغائية الأخلاقية في الصحيفة السجادية. ***الفصلية الثنائية للأخلاق الوحيانية***، المجلد ١٥، العدد ٤ (العدد المتسلسل ٣٧)، صص ٢٧–٥٤.

الحر العاملي، محمد بن الحسن. (١٣٦٤ش). ***تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة***. الطبعة الأولى، طهران: انتشارات ناس.

حقاني، حسين (١٣٧٣ش). ***النظام الأخلاقي للإسلام***. الطبعة الأولى، طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

سبحاني‌نيا، محمد. (١٤٠٢ش). دراسة مقارنة للتعاليم الأخلاقية في نهج‌البلاغة مع النظم الأخلاقية الغربية. ***مشكوة***، السنة الثانية والأربعون، العدد ١٥٩، صص ١٢٣–١٤٦.

سرلك، علي، وسعيدي، فاطمة. (١٣٩٩ش). معايير القيمة المعرفية للأخلاق في نهج‌البلاغة في ضوء المدارس الواجبية والغائية الأخلاقية. ***دراسات معرفية في الجامعة الإسلامية***، السنة الرابعة والعشرون، العدد ١ (العدد المتسلسل ٨٢)، صص ١٦٩–١٨٨.

سعيدي، فاطمة، وعلم الهدى، سيد علي، وقاسم بور، محسن. (١٣٩٧ش). مؤشرات الواجبية الأخلاقية في المدرسة الأخلاقية لأميرالمؤمنين(ع) من منظور نهج‌البلاغة. ***التعاليم التربوية في القرآن والحديث***، السنة الرابعة، العدد ٢ (العدد المتسلسل ٨)، صص ٦١–٨٢.

فرانكنا، ويليام ك. (١٣٩٢ش). ***فلسفة الأخلاق***. ترجمة هادي صادقي، الطبعة الرابعة، قم: انتشارات طه، ١٣٩٢هـ.ش.

الفيض الكاشاني، محمد بن محسن. (١٤٠٦ق). ***الوافي***. الطبعة الأولى. إصفهان: مكتبة الإمام أميرالمؤمنين(ع).

كانط، إيمانويل. (١٣٦٩ش). ***تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق***. ترجمة حميد عنايت وعلي قيصري، الطبعة الأولى، طهران: منشورات خوارزمي.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٤٠٧ق). ***الكافي***. تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الرابعة، طهران: دار الكتب الإسلامية.

المجلسي، محمدباقر بن محمدتقي. (١٤٠٣ق). ***بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار***. الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصباح اليزدي، محمدتقي. (١٣٧٨ش). ***تعليم العقائد***. الطبعة الثالثة، شركة الطباعة والنشر الدولية التابعة لمنظمة الإعلام الإسلامي.

ـــــــــــــــ. (١٣٨٤ش). ***نقد ودراسة المدارس الأخلاقية***. الطبعة الأولى، قم: مؤسسة الإمام الخميني(ره) التعليمية والبحثية.

مصباح، مجتبى. (١٣٨٢ش). ***أسس الأخلاق***. الطبعة الأولى، قم: مؤسسة الإمام الخميني(ره) التعليمية والبحثية.

مظاهري، حسين. (١٣٨٣ش). ***بحث جديد في الأخلاق الإسلامية وشؤون الحكمة العملية***. الطبعة الثانية، طهران: منشورات الذكر.

مكارم الشيرازي، ناصر. (١٣٨٦هـ.ش). ***رسالة الإمام أميرالمؤمنين(ع)***. الطبعة الثالثة، طهران: دارالكتب الإسلامية، ١٣٨٦هـ.ش.

نديمي، مهرداد، ومسعودي، جهانكير. (١٤٠١ش). النتائجية في الأخلاق من منظور التعاليم الإسلامية. ***الفصلية الثنائية للأخلاق الوحيانية***، العدد ٢ (العدد المتسلسل ٢٥)، صص ٣٣–٦٠.

هاشمي كلپايكاني، سيد محمدصالح. (١٣٨٨ش). الغائية من منظور القرآن الكريم. ***مجلة أبحاث علوم القرآن الكريم ومعارفه***، السنة الأولى، العدد ٤، صص ١٧٩–٢٠٦.

هولمز، روبرت ل. (١٣٨٥ش). ***أسس فلسفة الأخلاق***. ترجمة مسعود عليا، الطبعة الأولى، طهران: ققنوس.

References

The Holy Qur'an. [in Arabic]

Haqqani, Hossein. (1373). The Ethical System of Islam. 1st ed. Tehran: Office for the Publication of Islamic Culture. [in Persian]

Imam Ali ibn Abi Talib. Nahj al-Balāghah. [in Arabic]

Ibn Maytham al-Bahrani, Maytham ibn Ali. (n.d.). Commentary on Nahj al-Balāghah. Beirut: Dar al-Thaqalayn. [in Arabic]

Javadi Amoli, Abdullah. (n.d.). The Hereafter in the Qur'an. Qom: Esra Publishing Center. [in Persian]

Haji Jafari, Ali. (1396). Deontology and Teleology in the Holy Qur'an [Master's thesis]. University of Qom, Qom, Iran. [in Persian]

Haji Jafari, Ali. (1404). From opposition to integration: Proposing a model of hierarchical integration to explain the relationship between deontological and teleological ethics in the Sahifa Sajjadiyya. Ethics of Revelation, 15(4), Serial No. 37, 27–54. [in Persian]

Hurr al-Amili, Muhammad ibn al-Hasan. (1364). Tafsil Wasa'il al-Shi'a ila Tahsil Masa'il al-Shari'a. 1st ed. Tehran: Nas Publications. [in Arabic]

Sarlak, Ali, and Saeidi, Fatemeh. (1399). Criteria for the axiological evaluation of ethics in Nahj al-Balāghah, with reference to deontological and teleological ethical schools. Epistemic Studies in the Islamic University, 24(1), Serial No. 82, 169–188. [in Persian]

Saeidi, Fatemeh, Alamolhoda, Seyyed Ali, and Ghasempour, Mohsen. (1397). Indicators of ethical deontology in the ethical school of Imam Ali according to Nahj al-Balāghah. Educational Teachings in the Qur'an and Hadith, 4(2), Serial No. 8, 61–82. [in Persian]

Frankena, William K. (1392). Ethics. Translated by Hadi Sadeghi. 4th ed. Qom: Taha Publications. [in Persian]

Fayz Kashani, Muhammad ibn Muhsin. (1406). Al-Wafi. 1st ed. Isfahan: Library of Imam Amir al-Mu'minin Publications. [in Arabic]

Majlisi, Muhammad Baqir ibn Muhammad Taqi. (1403). Bihar al-Anwar al-Jami'a li-Durar Akhbar al-A'imma al-Athar. 2nd ed. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi. [in Arabic]

Mesbah Yazdi, Muhammad Taqi. (1378). Teaching of Beliefs. 3rd ed. International Printing and Publishing Company, Islamic Propagation Organization. [in Persian]

Mesbah Yazdi, Muhammad Taqi. (1384). Critique and Examination of Ethical Schools. 1st ed. Qom: Imam Khomeini Educational and Research Institute Publications. [in Persian]

Mesbah, Mojtaba. (1382). Foundations of Ethics. 1st ed. Qom: Imam Khomeini Educational and Research Institute Publications. [in Persian]

Mazaheri, Hossein. (1383). A New Inquiry into Islamic Ethics and the Dimensions of Practical Wisdom. 2nd ed. Tehran: Zekr Publishing. [in Persian]

Makarem Shirazi, Naser. (1386). Payam-e Imam Amir al-Mu'minin [The Message of Imam Amir al-Mu'minin]. 3rd ed. Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyya. [in Persian]

Nadimi, Mehrdad, and Masoudi, Jahangir. (1401). Consequentialism in ethics from the perspective of Islamic teachings. Ethics of Revelation, 12(2), Serial No. 25, 33–60. [in Persian]

Hashemi Golpayegani, Seyyed Mohammad Saleh. (1388). Teleological thinking from the perspective of the Holy Qur'an. Journal of Qur'anic Sciences and Knowledge, 1(4), 179–206. [in Persian]

Holmes, Robert L. (1385). Basic Moral Philosophy. Translated by Masoud Alia. 1st ed. Tehran: Qoqnoos Publishing. [in Persian].

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال نهم، شماره دوم، پیاپی هجدهم، بهار و تابستان ۱۴۰۵ (۱-۱۶)
DOI: 10.30473/anb.2026.78321.1497

«مقاله پژوهشی»

بازخوانی نظام اخلاق هنجاری اسلام با روش استنطاق ساختاریافته از نهج‌البلاغه؛ ارائه الگوی وظیفه‌گرایی غایت‌نگرِ الهی

فائزه سلطانی[1*]، علی حاجی‌جعفری[2]

۱. دانش‌آموخته کارشناسی اقتصاد صنعتی دانشگاه یزد و دانش‌آموخته سطح سه تعلیم و تربیت اسلامی جامعة الزهراء سلام‌الله‌علیها قم، ایران.
۲. دکترای تخصصی فلسفه حقوق دانشگاه باقرالعلوم علیه‌السلام قم و دانش‌آموخته سطح چهار حوزه علمیه قم، ایران.

نویسنده مسئول:
فائزه سلطانی
رایانامه: Soltani9468@gmail.com

تاریخ دریافت: ۱۴۰۵/۰۴/۱۰
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۸/۲۳

استناد به این مقاله:
سلطانی، فائزه و حاجی‌جعفری، علی. (۱۴۰۵). بازخوانی نظام اخلاق هنجاری اسلام با روش استنطاق ساختاریافته از نهج‌البلاغه؛ ارائه الگوی وظیفه‌گرایی غایت‌نگرِ الهی. *دراسات حدیثة في نهج‌البلاغة*، ۹(۲)، ۱-۱۶.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78321.1497)

چکیده

اسلام با تکیه بر قرآن کریم و سنت، نظامی جامع و منسجم در حوزه اخلاق هنجاری ارائه می‌کند. از میان نظریه‌های اخلاق هنجاری در فلسفه غرب، دو نظریه‌ی وظیفه‌گرایی و غایت‌گراییِ سودمحور بیشترین شباهت ظاهری را با اخلاق اسلامی داشته و در پژوهش‌های تطبیقی مورد توجه قرار گرفته‌اند. با این حال، پرسش بنیادین آن است که آیا نظام اخلاقی مستنبط از نهج‌البلاغه را می‌توان در هیچ‌یک از این دو قالبِ مصطلح جای داد؟ این نوشتار با هدف کشف الگوی حاکم بر اخلاق هنجاری در کلام امیرالمؤمنین علیه‌السلام، با روش استنطاق نظام‌مند (طراحی پرسش‌های بنیادین فلسفه اخلاق و جستجوی پاسخ در متن) و تحلیل محتوای کیفی جهت‌دار انجام شده است. یافته‌ها نشان می‌دهد که در نظام اخلاقی نهج‌البلاغه، وظایف اخلاقی پیشینی (مانند راستگویی، عدالت، وفای به عهد) دارای ارزش و حرمت ذاتی هستند، اما علت غایی و انگیزه‌ی نهایی انجام همه‌ی این وظایف، «قرب الی الله، رضایت حق و سعادت اخروی» است؛ نه لذت دنیوی یا حداکثرسازی منفعت مادی. بدین سان، وظایف در این نظام، «طریق» (وسیله) به سوی غایت الهی هستند و در موارد تزاحم میان دو وظیفه، قاعده‌ی «اهم و مهم» با معیار «نزدیکی به رضایت الهی» جاری می‌شود. این الگو که «وظیفه‌گرایی قاعده‌نگرِ غایت‌مندِ الهی» نام گرفته، نه به وظیفه‌گراییِ مطلق‌گرای کانتی فرو می‌کاهد و نه به غایت‌گراییِ سودمحور بنتامی. انسان در این نگاه، موجودی هدفمند است که با انجام وظایف اخلاقی در چارچوب شریعت، به غایت حقیقی خویش نزدیک می‌شود.

واژه‌های کلیدی

نهج‌البلاغه، اخلاق هنجاری، وظیفه‌گرایی، غایت‌گرایی الهی، استنطاق نظام‌مند، قرب إلی الله.

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۵ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.
این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)